



## رحل تزفيتان تودوروف... ناقد الأفكار وفيلسوف الغيرية

«غزو أميركا: سؤال الآخر» (1982)، و«السعادة الواهية: بحث عن روسو» (1985)، و«نحن والآخرون» (1989). ثم امتدت لاحقاً لتشمل نقد التوتاليتاريات الغربية، التي هزت العالم. خلال النصف الأول من القرن العشرين. وأصدر في هذا المجال مؤلفات كثيرة، لعل أشهرها «في مواجهة التطرف» (1991)، و«الحديقة المنقوصة: الفكر الإنساني في فرنسا» (1998)، و«هشاشة الخير: إنقاذ يهود بلغاريا» (1999)، و«ذاكرة الشر، غواية الخير» (2000).

امتداداً لتلك الروح النقدية، تصدّت أعمال تودوروف، مع بداية الألفية الجديدة، لمشاريع الهيمنة الأميركية، من خلال مجموعة من المؤلفات المدوية، كـ«اللائحة العالمية الجديد» (2003)، و«الخوف من البرابرة: ما وراء صدام الحضارات» (2008)، و«الأعداء الحميميون للديموقراطية» (2012).

ورغم أنه اشتهر بحرصه على النأي بالنفس عن الشأن السياسي الأني، إلا أن تودوروف لم يتردد، خلال السنوات العشرين الأخيرة، عن المجاهرة بمواقف سياسية معارضة بشدة للهيمنة الأميركية، من منطلق أن «غواية فرض الخير بالقوة أخطر من كل الشرور»، مستشهداً في ذلك بمقولة شهيرة لفلاديمير غروسمان (1884 - 1976)، مفادها أن «الشر الأكبر إنما يصدر عن يسعون لفرض الخير بالقوة على الآخرين».

من هذا المنطلق، عارض تودوروف تدخل حلف الأطلسي لتفتيت آخر ما تبقى من يوغوسلافيا، عبر فرض استقلال كوسوفو عن صربيا عام 1999، ودان الاحتلال الأميركي للعراق عام 2003، وندد بالتدخل الأطلسي في ليبيا عام 2011 بحجة نشر الديموقراطية.

وقد فسر تودوروف النبرة النضالية غير المعهودة التي اتسمت بها مواقفه تلك، في حوار أُلقي به لمجلة «لوبوان» الفرنسية، عام 2012، قائلاً: «إننا (في الغرب) نشهد، منذ 20 سنة، مدأً تبشيراً يتمثل في الزعم بأننا نستطيع نشر الديموقراطية وحقوق الإنسان، عبر فرضها بالقوة على الآخرين. وهذا، في نظري، أمر مريب ومثير للقلق».



### باريس - عنفات تزفاتر

غيب الموت قبل يومين في باريس، المفكر الفرنسي، من أصل بلغاري، تزفيتان تودوروف (1939 - 2017). على مدى نصف القرن الماضي، عدّ تودوروف واحداً من أبرز أقطاب الفكر النقدي ذي النزعة الإنسانية، وقامة فكرية متعددة الاختصاصات، إذ قدّم إسهامات بارزة في مجالات بحثية شتى، من النقد الأدبي واللسانيات إلى علم الاجتماع والفلسفة السياسية وتاريخ الأفكار.

وُلد تودوروف في صوفيا عام 1939. على مدى ربع قرن، واكب نشأة وتنامي القبضة الحديدية للأنظمة الشمولية الستالينية في الكتلة الشرقية سابقاً، قبل أن يغادر إلى باريس، لاجئاً سياسياً، عام 1963. اشتغل في بداياته على النقد الأدبي، ولفّت الأنظار منذ باكورته «نظرية الأدب، نصوص من الشكلايين الروس» (1965)، التي لم يلبث أن أتبعها بـ«الأدب والدلالة» (1967)، الذي كرس شهرته كباحث، وخوّله الالتحاق بـ«المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي» عام 1968.

من خلال هذه المؤسسة المرموقة، تركزت شهرته تودوروف، خلال عقد السبعينيات، كواحد من أبرز أقطاب المدرسة البنوية في النقد الأدبي. قدّم في هذا الشأن إسهامات فارقة أدرجت ضمن ثلاثيتين. تمثلت الأولى في «مدخل إلى الأدب الغرائبي» (1970)، و«شعرية النثر» (1971)، و«ما البنوية؟» (1977)، بينما ضمت الثلاثية الثانية «نظريات الرمز» (1977)، و«الرمزية والتأويل» (1978)، و«أصناف الخطاب» (1978). مع بداية الثمانينيات، ابتعد تودوروف تدريجاً عن النقد الأدبي، رغم أنه عاد وأصدر لاحقاً أبحاثاً أدبية عدة (راجع الكادر أدناه). انتقلت اهتماماته إلى مجالات بحثية أرحب، كالفلسفة وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا وتاريخ الأفكار. اتسمت مؤلفاته الفكرية بنزعة إنسانية استعادت إرث الأنوار الأوروبية، لكن بمنظور نقدي. فقد دافع عن القيم الإنسانية التي انبثقت عن فلسفة الأنوار الأوروبية، في بعدها العالمي الشامل، مخالفاً بذلك دعاة «النسبية الثقافية» (كلود ليفي

### عمله الوصية... «انتصار الفنان»

بالرغم من أن الأبحاث الفكرية ذات المنحى الفلسفي والتاريخي اتخذت مكانة مركزية في أعمال تودوروف، منذ مطلع الثمانينيات، إلا أنه ظل وفيماً لحبه الأول: النقد الأدبي. في موازاة ازدهار أعماله الفكرية، أصدر أيضاً أبحاثاً أدبية عدة، منها «نقد النقد» (1984)، و«مفهوم الأدب» (1987)، و«الأدب في خطر» (2007).

كما كان له اهتمام خاص بالفن التشكيلي، وبالأخص بفناني عصر النهضة، من خلال مؤلفات كـ«الفن أو الحياة، رامبرنت نموذجاً» (2008)، و«غويا: في ظلال الأنوار» (2011). وفي بيان التابن الذي أرسلته ابنته، أول من أمس، لوكالة الأنباء الفرنسية، قالت إنه أنهى قبيل رحيله مؤلفاً جديداً سيصدر في شهر آذار (مارس) المقبل، تحت عنوان «انتصار الفنان».

ولم يكن مفاجئاً لمن عرفوا تودوروف عن قرب أن يكون عمله/الوصية هذا مخصصاً للفن. فقد كان يقول على الدوام بأنه لا يعتبر نفسه فيلسوفاً، بل ناقداً أدبياً مهتماً بتاريخ الأفكار. وكان يفسر ذلك بقوله إن «الأفكار حين يعبر عنها أدباء أو فنانون، تكون أكثر قوة وتأثيراً من أفكار الفلاسفة!».

لواءها، كلما تعارضت مع مصالحه الأنية. هذا المنحى النقدي في فكر تودوروف انصب في مرحلة أولى، خلال الثمانينيات، على نقد الحروب الاستعمارية الأوروبية، من خلال أعمال كـ

ستروس...). لكنه لم يقع في فخ تمجيد الأنموذج الغربي، إذ حملت أعماله نبذة نقدية معارضة لهيمنة المركز الغربي، الذي لا يتوانى عن التنكر للقيم والمبادئ الإنسانية، التي يُزعم أنه يرفع



### صلاح صلاح: عن الثورة والنضال

يقدم المناضل الفلسطيني صلاح صلاح (1936 - الصورة) كتابه الجديد «من ضفاف البحيرة إلى رحاب الثورة» (الفارابي) في 27 شباط (فبراير) الحالي في «دار النمر للفن والثقافة» (كليمنصو)، في حوار مع خالد فراج، مدير «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» (رام الله). يتطرق الكتاب إلى تاريخ شخصي في الحركة التحريرية الفلسطينية، ومرحلة مهمة من تاريخ القضية، بنجاحاتها وإخفاقاتها... والدروس التي يمكن للجيل الجديد الإفادة منها في مواصلة المعركة مع العدو.

«من ضفاف البحيرة إلى رحاب الثورة»: الاثنين 27 شباط - 18:30 - القاعة الرئيسية في «دار النمر للفن والثقافة» (كليمنصو - الحمرا). الدخول مجاني.

